

الخميس 14-07-2011

1413- قراءة في كراسات التدريب



قراءة: في كراسات التدريب (جيب محفوظ)

مقدمة:

أرجو من الصديق الذى ينوى قراءة هذه اليومية أن يبدأ باخفاء المحاولة لنقل النص بالحروف المطبوعة على الجانب الأيسر من المتن، ثم يحاول أن يقرأ السطرين الأول والثاني من النص الموجود على الجانب الأيمن ليحل شفرته بأى تقريب محتمل، ثم يرفع الورقة التى كانت تخفى النصف المطبوع ليقرأ محاولتنا، أما كيف توصلنا إليها، فهذا ما سرد في اجتهادنا في القراءة حالا

شكرا.

استدراك:

لم أنتبه الأسبوع قبل الماضى نشرة 30-6-2011 "قراءة في تدريب الصفحة 27 من الكراسة الأولى" إلى تعليقي على ما ورد في نشرة 4-2-2010 "تدريب الصفحة (11) من الكراسة الأولى" على أغنية "أراك عصي الدمع" وأغنية "سالمة يا سلامة" وربما وجب الرجوع إلى ذلك قبل نشر النسخة الورقية لهذا العمل إذا ما أتيج له ذلك.

تذكرة:

... ثم أذكر القارئ أنه سوف يتبع هذه الدراسة التشريحية - غالبا- دراسة جامعة في محاولة إعادة تربيط التدايعات أو الأفكار أو المواقف المحورية في كل الكراسات معاً، ربما ينجلى من خلالها شيخنا أوضح فأقرب.

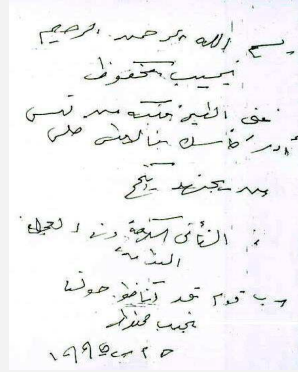
ص 29 من الكراسة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

 نجيب محفوظ
 غرد الطير فنبه من نَعْسٍ
 وأدر كأسك فالعيش خُلْسٌ

 من يجتهد ينجح

 في التأن سلامة
 وفي العجلة الندامة
 رب قوم قد أناخوا حولنا
 نجيب محفوظ
 1995/2/25



القراءة:

بعد البسملة وكتابة اسمه، لم أستطع أن أقرأ السطر الأول والثاني إلا بشكل تقريبي ناقص مشوه، فلم يصلني ما يفيد، وحين جمعت هذا السطر أو الشطر إلى ما يليه لم يسعفني أي من ذلك.. فاكثفت بمقطع "أدر كأسك"، ووجدت شعرا هميلا لابراهيم الأحمد الطرابلسي من لبنان (1824م - 1891م) ذلك الشاعر الطليق، والأديب الحقق الشامل يقول:

"أدر على ذكر أيام الصبا كاسي".

ورجعت إلى نص التدريب بخط يد الأستاذ، فلم أجد أدنى علاقة تبرر التقريب، ولو افتعالا، ولم أرتح لذلك حتى الرفض.

عدت ابحث بشكل أكثر تدقيقا، وفجأة عثر أحد مساعدي، الابن أحمد السيد، على نص أقرب رَجَح أنه هو الذي أراده الأستاذ، وهو نص من ترجمة محمد السباعي لرباعيات الخيام، وتجرت وقررت أن هذا هو ما كان يقصد الأستاذ كتابته تحديدا، حتى لو لم يتحدد تماما في شخبطه الجميلة، وهو نص من رباعيات الخيام ترجمة محمد السباعي إلى خماسيات السباعي (والد يوسف السباعي، ومالك ناصية الفصحي والشعر كما سنرى) وهي ترجمة رصينة قوية وسابقة، وقد أحببتها شخصا ومازلت أحفظ منها ما يقربني من الخيام، ومن الموت، ومن شجاعة لقائه، هذه الخماسية (من ترجمة السباعي) التي مازلت أحفظها لكثرة ما ترددت في وعيي خلال سنوات تقول:

إشرب الصهباء في ظل الصُّبا

ما شدا طيرٌ بتيجان الرُّبى

فإذ ساقى المنايا أوجباً

شربةً غصتْ ومزّت مطعما

فاحسُ جلداً حمره الموت الزؤام

رأيت هذه الشجاعة، شجاعة مواجهة الموت، في شيخى ليس فقط في تصرفه بعد محاولة اغتياله، ولكن في ترحيبه بلقاء ربه لدرجة أن يحب الموت طريقاً إليه سبحانه وتعالى، أنا لم أسمعه شخصياً وهو يقول مثل ذلك إلا تعقبياً على تصريح فرانسوا متران وهو يتكلم عن شعوره (متران) لو فوجئ بعد موته (كان ذلك بعد أن حكيت للأستاذ تصريح متران وهو ينتظر الموت بعد إصابته بالسرطان انظر **(نشرة 1-14-2010 الحلقة السادسة في شرف صحبة نجيب محفوظ)** حين عقب شيخى على أن الخلود بجوار الحبوب (رب العالمين) مهما طال لا يبعث المثل كما صرح متران، أضف إلى ذلك تصريحه في برنامج تكررت إذاعته وهو يقول ما معناه أنه في هذه الفترة المتأخرة من حياته يجب -ضمن ما يجب- "الموت"، وهو المعنى الذى ورد على لسانه وهو يعدد مواضيع حبه قرب النهاية ومنها "الحياة" وكذا "الموت".

ثم عدت إلى تدريبات اليوم

لم أكن أعرف أن شيخنا أحب ترجمة محمد السباعي لرباعيات الخيام إلى هذه الدرجة، درجة أن تقفز إلى وعيه في تدريباته هكذا، وكنت أتصور أن أم كلثوم بشدوها للرباعيات هي التي أحضرت عمر الخيام إلى وعى الأستاذ كما ذكرت سابقاً **(نشرة 2-6-2011 "قراءة في صفحة التدريب 24 من الكراسة الأولى)** وإن كنت لم أوف ما وصلني عن علاقة الأستاذ بالخيام حقها بعد، المهم فرحت فرحاً حقيقياً حين وجدت بقية أصل ما شخبط الأستاذ حتى أعجزني وهو كما يلي:

غَرَدَ الطير فنَبَه من نَعَس

وأدِرُّ كأسك فالعِيش خُلَس

سَلَّ سيفُ الفجر من غمَد الغلس

وانبرى في الشرقِ رامٍ أرسلأ

أسهم الأنوار في هام القلاع

(الْخُلَسُ: = الفِرْسُ الهَرَابَةُ)

(والغُلَسُ: = ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح)

وقد توقفت طويلاً عند صورة سيف الفجر وهو يُسَلُّ من غمد ظُلمةٍ آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (الغُلَس) ثم توجّه أسهم الأنوار في هام القلاع!!!

إذن، فالاستاذ لم يكتف بتريده ما تردده أم كلثوم من ترجمة أحمد رامى للخيام، ولم يكتف بالاطلاع على ترجمة محمد السباعي، بل حفظها حتى قفزت في تدريباته بهذه التلقائية، ولعل البيتين الأوليين هما أقرب إلى ترجمة رامى في مقطع:

أفوق خفيف الظل هذا السحر

نادى دع النوم وناغى الوتر

(لا.. لا أظن، عذرا!)

وبصراحة، أعجبتى رصانة محمد السباعى وامتلاكه ناصية الفصحى بهذه القوة، وتعجبت مرة أخرى كيف حضر هذان البيتان الأوليان إلى وعى الأستاذ هكذا!

(هذا وقد أعود إلى ما وصلنى أكثر حين أعود لعلاقة الأستاذ باخيام)

بعد هذين البيتين تأتى فى صفحة التدريب حكمتان بسيطتان أقرب إلى ما نقوله للأطفال، لكنهما حين تطلان الواحدة تلو الأخرى فى تدريبات الأستاذ تكتسب كل منهما عمقا آخر، ونبضا آخر، أو هذا ما وصلنى كالتالى:

حين يكتب الأستاذ "من يجتهد ينجح"، وتحضرنى تدريباته وسط هذا النغم الشعرى الرائق والصور الجميله، لا أكتفى بأن استقبلها كما كنت أفعل طفلا، بل يحضرن معنى اجتهاد الأستاذ الذى يمثله لى ما عرفته فيه وعنه شخصا، وكيف أنه حقق ما حقق من إبداع وتفوق ليس فقط بالموهبة والتدريب وطلاقة قدراته الإبداعية وإنما أيضا بالاجتهاد والمثابرة والعناد وطول النفس، ثم يحضرن مباشرة وتحديدا متحديا كيف اجتهد فى تدريب يده هكذا حتى عاد إلى الكتابة كما نرى! وقد لاحظت كيف كان حضوره وسطنا يحمل كل هذه المعانى حتى تصبح هى خير دافع لكل منا أن يواصل ويكمل، ومازلت أذكر -كما ذكرت سالفًا- كيف كان يحرص على أن يسألنى كلما رجعت من إجازة نهاية الاسبوع عن ما أنجزته مما كنت أحتج به وأنا أعتذر عن مشاركته لقاء الجمعة فى بيتى/بيته، وأيضا أذكر- كما ذكرت- كيف كان ينهرنى بقوة أب محب حين أفكر فى تأجيل الندوة الثقافية الشهرية التى أعقدها فى مستشفى كل شهر منذ سنوات، أما حين كنت ألح أننى أفكر فى توقيفها بعد أن شككت فى جدواها فكان يزعج محتجا أنه غير موافق حتى تصلى منه أنه "لا" يعنى "لا"، وأعتقد أن تاريخ مثابرة واجتهاد صديقنا وابنه الروحى د. زكى سالم قد يكون مثلا متواضعا لهذا التأثير الرائع، فهو - د.زكى- محاسب أساسا (كلية التجارة)، وليس لدراسته الجامعية الأساسية علاقة بكل هذه الفلسفة والتصوف، اللتان غرق فيهما، وعكف عليهما للمعرفة اساسا، بل تماما، فراح يجتهد وهو يواصل دراسته للفلسفة ليحصل على ماجستير(فى الغزالي)، ثم على الدكتوراه (فى ابن عربى) بهدف الاستنارة فالإنارة لا أكثر، وكذلك كانت مثابرتة على طريق الإبداع القصصى، ومع أننى تحفظت - ناقدا محبا- على كثير من كتاباته الأولى، إلا قليلا، لكن "اجتهاده" أوصله مؤخرا إلى النجاح فى إبداع رواية قصيرة رائعة (أو قصة قصيرة طويلة) بعنوان "حكيم" أعجبت بها إعجابا شديدا، وذكرت ذلك فى إحدى النشرات (نشرة 7-9-2010 "حوار/بريد الجمعة)

وأخيراً فقد تمنيت وأنا أكتب هذه الجملة البسيطة الآن "من

يُجتهِد ينجح" أن ما نمر به حالياً آمليْن أن تنجح انتفاضة 25 يناير لتكون ثورة ممتدة، تمنيت أن تصل هذه التوصية البسيطة الواضحة "من يجتهد ينجح" إلى الشباب، فكل الناس، فنجد أنفسنا ننتقل من مرحلة إجحاح فورة الثورة، إلى بناء الدولة الجديدة، فالحضارة الباقية، وحتى أتأمل هذه الكلمات الثلاثة من جديد بعد أن وصلني تتقازم من حركة أصابع يد الاستاذ المجتهد، رحمت أضرب هذه الحكمة في عدد الأيام بل الساعات بل الدقائق في عدد شعبنا، أو على الأقل في عدد من يريدونها ثورة بحق وحقيقي من شعبنا، وقلت: هكذا تصبح ثورة فعلاً، اجتهاد في الصبر، ثم اجتهاد في الاستمرار، ثم تراكم غاضب فإفائة منطلقة، فبداية وولادة وطفرة، وهكذا، وهكذا، كل ذلك هو: "من يجتهد ينجح".

تأتي الحكمة التالية، أيضاً بسيطة معادة "في التاني السلامة، وفي العجلة الندامة"

لكن لا!!! لم تصلني بهذه البساطة كم قلناها، وكم رددناها أطفالاً، لكنها تصلني من تدريبه الآن بشكل آخر، فأتذكر كيف كنت - ومازلت - أتوقف أمام سطرين في إحدى رواياته وقد كتبها - غالباً - في بضع ثوان، لكن يصلاح وهما يحتويان دهرًا بأكمله فأجد فيهما هذا التاني الآخر، وليس مجرد البطء الذي يصل من ظاهر اللفظ، حدث لي ذلك بخاصة وأنا أنقد "ملحمة الخرافيش"، ثم "حديث الصباح والمساء"، فتصلني السلامة هنا بمعنى الجمال والحبكة، وأطرد معنى قبيحا نبهني إليه والدي له علاقة بهذه الحكمة، نبهني إليه وهو يعلمني كيف يسخ الخرص على الوزن في الشعر العمودي الحكمة: حتى يسطحها حين يقول الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

نفس الجو المختلف والأعمق، أو أقل قليلاً، وصلني من حضور "العجلة" في تدايعات شخينا التدريبية هذه، فأنا لم أراه متعجلاً أبداً إلا في الوفاء بواجب صديق، أو الوفاء بموعد ملزم، فكان هذا وذاك يمثلان لي قيمة حضارية، وليس أبداً نصيحة تجعل العجلة مقترنة بالندامة دائماً بهذه البساطة..

.....

.....

يختم شيخنا تدريب اليوم بهذا الشطر الجميل،

"رب قوم قد أناخوا حولنا" ...

فأجد تكملة النص في "شعر عدى بن زيد" في رواية تقول:

نزل النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد (وكان قد تزوج ابنته) في ظل شجرة عظيمة ليلها،

فَقَالَ عدى بن زيد: أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟

قال: لا

قال عدى بن زيد، تقول:

رب قوم قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء
الزلال

ثم أضخوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حالا بعد حال

فيذكرني ذلك بتدريب سابق تناولت فيه قراءة موازيه،
وهي التي وردت في (صفحة التدريب رقم 10 نشرة 2011/5/5)
وفيها شطر أبي نواس

"ودار ندامى عطلوا وأدجوا" ...

فأكملناها هكذا:

ودار ندامى عطلوا وأدجوا... بها أثرٌ منهم جديدٌ
ودارٌ

مساحب من جر الرقاق على الثرى وأضغات ريمان جنى
ويابس

وناقشنا أنذاك احتمالات علاقة الأستاذ بهذا الجو برمته

وبعد

ألا يحق لي، ولكم أن نشكر شيخنا وأستاذنا الذي يعلمنا
كل ذلك حتى بعد رحيله

شكرا

هل صدقتم أصدقائي الأعزاء أنه مازال معنا؟